

مثل لبنان بموقعه الجغرافي وتنوعه الديني والطائفي وتطورات أحداثه السياسية الشغل الشاغل للكثير من ساسة الدول العربية والأقليمية والتي وجدت في الساحة اللبنانية مواطن للتوتر السياسي ومجالاً حيويًا لتنفيذ سياساتها واختباراً لصدق تحالفاتها .

ولعل الحرب الأهلية التي اندلعت في منتصف السبعينات من القرن المنصرم مصداقاً لتلك الآراء إذ اختلف تعاطي الدول العربية والأقليمية لتلك الأحداث ، وتقف المملكة العربية السعودية في طليعة تلك الدول التي أخذت تتعاطى مع الأحداث اللبنانية بالسلب والإيجاب لتترك لها هوية سياسية واستراتيجية واضحة على مسرح الأزمات اللبنانية ، وعليه يمكن القول إن الامكانيات السياسية والاقتصادية اللبنانية والخصوصية الديمغرافية جعلت منه بلداً اتسم بالضعف ضمن أطر منطقة الشرق الأوسط ، لذا دأبت بيروت في البحث عن ملاذ آمن تلجأ إليه وقت الأزمات والتحديات التي قد تنتاب المنطقة ، فليس غريباً أن تؤيد لبنان سياسة الأحلاف التي تطرحها الدول العربية في المنطقة لانه وجد فيها القوة التي يمكن أن تحميه وقت اشتداد الأزمات .

فضلاً عن ذلك فإن ادراك معظم ساسة لبنان لحقيقة امكاناتهم السياسية والعسكرية حثم عليهم اتخاذ موقف الحياد الإيجابي المشوب بالترقب حيال صراعات الزعامة العربية-العربية والتي تمثلت جلياً في النزاع السعودي-المصري مع ما أفرزه ذلك النزاع من انعكاسات سياسية خطيرة داخل الحكومة اللبنانية إذ انقسمت على نفسها بشأن ذلك النزاع .

يضاف إلى ذلك أن جوار لبنان لأسرائيل جعله واحداً من أكثر بُرُ الصراع العربي الاسرائيلي إثارة وخطورة ، فبعد حرية العمل الفدائي الفلسطيني والدعم العربي الكبير له ، أثر سلباً على التعايش السلمي في لبنان لاسيما بعد انتقال منظمة التحرير الفلسطينية إليه من الأردن بعد أحداث أيلول 1970 ، فالمسلمون واليساريون اللبنانيون رحبوا بالموجة الجديدة من الفلسطينيين وطلبوا الحكومة اللبنانية بدعم الفدائيين ، في حين عارض المسيحيون ذلك وعدّوه تدخلاً سافراً من الفلسطينيين في الشؤون الداخلية اللبنانية بعد أن أصبحت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين مقاراً محصنة للفدائيين لاستطيع الحكومة الشرعية اللبنانية الدخول إليها ، أدى ذلك الى تزايد الشحن الطائفي بين الفريقين وتطوع المتطرفون من الجانبين الى تشكيل ميليشيات مسلحة أوصلت البلاد تدريجياً الى حرب أهلية مدمرة ، ومع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في الثالث عشر من نيسان 1975 فقد لبنان مؤسساته الحكومية وانهارت الدولة تدريجياً ، وأصبح لبنان محطة لتصفية حسابات الدول العربية والأقليمية أو يمكن القول بين المعسكر الرأسمالي والشيوعي على أرضه وبوساطة شعبه ، بعد أن أصبحت كل جهة تتحارب في لبنان تبحث عن حليف خارجي يدعمها لتحافظ على ديمومتها .

لقد اتسم الموقف السعودي من الحرب الأهلية بالازدواجية السياسية ، ففي الوقت الذي تدعم المملكة العربية السعودية اليمين المسيحي دعمت أيضاً المسلمين والفلسطينيين في لبنان ، كما لم يكن موقفها من بداية الحرب بالقدر الذي يتناسب مع امكانياتها السياسية والاقتصادية والذي من الممكن إذا ما استغلت ذلك لاستطاعت إنهاء الحرب في بدايتها ، وفي ضوء ذلك كانت السعودية تطمح ومن خلال اليمين المسيحي إلى القضاء على اليسار اللبناني والحد من نفوذ الجناح المتطرف في منظمة التحرير الفلسطينية وإبراز دور الجناح المعتدل للسير للإمام في قضية السلام في الشرق الأوسط ، ولذلك وجدت المملكة العربية السعودية في الاستراتيجية السورية في لبنان والقائمة على حفظ التوازن هناك مقبولة ومقنعة فهي تحافظ على الاستقرار وتمنع نشوب حرب عربية اسرائيلية في المنطقة وهذا في حد ذاته يصب في مصلحة المملكة ، التي تلاقى مع مصلحة الولايات المتحدة الامريكية في دعم الوجود العسكري السوري في لبنان والذي يمكن أن يُقال عنه إنه انطلق من مبدأ الحرب بالنيابة لانقاذ اليمين المسيحي المتراجع امام اليسار اللبناني والفلسطينيين ، والحؤول دون اقامة دولة مسلمة راديكالية تكون سبباً لإثارة المشاكل في المنطقة ، وعلى الرغم من ذلك فإن المملكة العربية السعودية كانت تعارض السياسة السورية في لبنان في بعض الاحيان إذا ما وجدتتها تبتعد عن التعاون معها ، فنراها تستخدم الضغط الاقتصادي تارة والضغط السياسي تارة أخرى لإعادتها لمسيرة سياستها في لبنان .

فضلاً عن ذلك أنّ المملكة العربية السعودية تبحث من وراء الوساطات التي طرحتها في لبنان الحفاظ على أمنها الخاص من جهة واتساع نفوذها من جهة أخرى ، فقد كانت تتخوف من أن يعمد حلفاؤها المسيحيون إلى المغالاة في علاقتهم مع اسرائيل وفي معركتهم مع الفلسطينيين أو محاولتهم اضعاف الوجود المسلمين وهي اعمال قد ينتج عنها توسع امتداد التيارات الراديكالية المتطرفة في صفوف المسلمين ، فاستطاعت المملكة في مؤتمر الرياض السادس عام 1976 من تحقيق نصر دبلوماسي زاد من شعبيتها في لبنان فضلاً عن حفاظها على المثلث القائم من الرياض والقاهرة ودمشق بعد أن تأثر بفعل اتفاقية سيناء وأحداث لبنان .

لكن خروج مصر عن دائرة الاجماع العربي بمصالحتها لاسرائيل وتزايد النفوذ السوري في لبنان ، دفع بالمملكة العربية السعودية الى ان تراعي المصالح السورية خلال طرحها للمبادرات بعد ان اظهرت سورية قدرة كبيرة في تعطيل الكثير من المبادرات التي لا ترعى

مصالحها ، فضلاً عن ذلك حاجة المملكة ومن ورائها دول الخليج بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية لسورية لتكون حلقة الوصل بينها . وبين إيران من أجل تخفيف حدة الإزمات التي قد تحصل في الخليج العربي .

لكن معارضة سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية لمشروع فهد للسلام ، أثار استياء المملكة العربية السعودية ، مما جعلها تحاول الاستفادة من الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام 1982 لمعاوية الفلسطينيين والسوريين وإخراجهم من لبنان .

من جانب آخر وبعد أن استطاعت اسرائيل القضاء على نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ، واجهت المملكة العربية السعودية مشكلة أخرى أشد خطورة من التطرف الفلسطيني ، فبعد دخول الحرس الثوري الإيراني الى لبنان اثناء الاجتياح الاسرائيلي ، عمل على تنظيم الشيعة لمقاومة الاسرائيليين فأصبحت الساحة اللبنانية المجال الحيوي لإيران لتصدير ثورتها بعد أن قيّدتها الحرب مع العراق ، الأمر الذي أدى الى ظهور حركات شيعية أصولية لبنانية كانت امتداداً للثورة الإيرانية فشكل ذلك قلقاً حقيقياً للمملكة جعلها وبإيحاء من الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على دفع السياسيين اللبنانيين لانتهاء الحرب وإيجاد حكومة لبنانية قوية تسيطر على الوضع الداخلي اللبناني لعلق الباب بوجه التمدد الإيراني .

وأمام هذا عادت المملكة العربية السعودية وبتوافق مع الولايات المتحدة الأمريكية الى الاعتراف بالانفراد السوري في لبنان يدفعها الدور السوري الضابط لحلفاء إيران في لبنان وكذلك المساعدة في الحد من النفوذ الإيراني في لبنان ، فضلاً عن ذلك أرادت المملكة المحافظة على توازن القوى بين العراق وسورية فهزيمة الأخيرة في لبنان يعني تفوق العراق الذي ازداد حجماً مع ما يملكه من ترسانة كبيرة من الأسلحة ، وهذا الأمر تعده المملكة خطراً كبيراً على منطقة الخليج .

وخلاصة القول إنّ الموقف السعودي من الحرب الأهلية اللبنانية لم يكن على وتيرة واحدة بل كان متأرجحاً تبعاً لتطورات الأحداث في لبنان وانعكاسها على المنطقة ، فضلاً عن المصلحة السعودية الخاصة ، فوسط مشاعر الرعب التي تعترى المملكة حيال بعض أعدائها التقليديين وخصوصاً المد الشيوعي المتصاعد والمنظمات الفلسطينية غير المنضبطة والرغبة الشديدة في بذل جميع الامكانيات لاجتياح حل للارزمة اللبنانية بعد أن أصبحت الفوضى في لبنان مجالاً حيوياً لتحرك هذه الفئات وممارسة نشاطاتها التي تعدها السعودية خطراً عليها ولهذا بدأت المملكة العربية السعودية تحت الخطأ وتقدم المشاريع الواحد بعد الآخر تارة بشكل مباشر وأخرى عن طريق وسيطها رقيق الحريري متبينة النجاح منها وتملصه من الفاشل ، إلى أن تكلفت هذه الجهود في عقد مؤتمر الطائف الذي مارست خلاله المملكة أقصى ماتستطيع من إمكانيات سياسية واقتصادية لنجاحه في اقرار وثيقة الوفاق الوطني التي وضعت الأسس لنهاية الحرب الأهلية في لبنان المستمرة منذ العام 1975 ، وينجح هذا المؤتمر أصبح للمملكة العربية السعودية في لبنان دورٌ بارزٌ يقابل الدور السوري لاسيما بعد أن ساهمت في اختيار الرئيس اللبناني رينيه معوض وهذا الامر كان سابقاً لسورية فقط ، فنجاح هذا المؤتمر يعد نصراً دبلوماسياً سعودياً كبيراً فقد كان للمملكة الدور البارز في انعقاده ونجاحه بتوفير السبل لذلك بالاتصالات المكثفة على مختلف الأصعدة اللبنانية والعربية والدولية .

وبهذا وبغض النظر عن المصلحة السعودية التي تنشدها من عقدها مؤتمر الطائف إلا أنها استطاعت وبجهد كبير أن تنجح وتضع حجر الأساس لإنهاء الحرب التي انهكت لبنان لخمس عشرة عاماً تكبد فيها الكثير من الخسائر ولم تستطع الكثير من مشاريع الحلول قبل الطائف ومنها مشاريع سعودية أن تنهي هذه الحرب ، وهذا الأمر يحسب للدبلوماسية السعودية والتي لولاها لما انتهت الحرب ولكان من الممكن أن تستمر لأكثر من ذلك ، لاسيما وأنّه لا يوجد بلد يمتلك المواصفات التي تتمتع بها المملكة تجاه لبنان ، فهي تتمتع دون غيرها بعلاقات حسنة ومؤثرة مع معظم الفرقاء اللبنانيين ودبلوماسيتها استطاعت أن تحافظ على هذا الدور طوال سنوات الحرب الأهلية اللبنانية .